علوية الدعوة العباسية

مضت حقبة طويلة من الزمن ، ظهرت خلالها أبحاث مستفيضة تناولت الدعوة العباسية مشيرة الى دور العباسيين الهام في هذا المجال ، ناسبة كل أمر أليهم ، سالبة ما كان لغيرهم حتى دعيت تلك الحركة بالدعوة العباسية ، واذا أردنا ان نتتبع تأريخيا بداية ذلك الأمر ، ونتقصى الروايات التي حيكت حول الجذور الأولى لذلك التنظيم ، نجد ان هنالك اضطرابا واضحا في تلك الروايات ، وغموضا ظاهرا في النصوص ، يستشف من خلالها ان الصورة التي رسمت للدعوة العباسية لم تكن تمثل طبيعتها الحقيقية ، وإنما قامت السلطة العباسية والتي تسلمت الامور بعد ذلك برسمها بالشكل الصحيح الذي أرادته ، ومن هنا فأن أغلب تلك النصوص إنما استندت على روايات عباسية أو مؤيدة لبني العباس .

يمكن القول أن البلاذري (ت ٢٧٩هـ) يعد من اوائل الذين ذكروا وصية أبي هاشم عبد اللة بن محمد بن الحنفية الى محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، تلك الوصية التي أستند عليها العباسيون في أحقيتهم بالدعوة دون العلويين . ويعطي البلاذري صورة مصغرة لتلك الوصية ودونما تفصيل يذكر (١) . في حين يتناولها اليعقوبي (ت٢٨٢هـ) بشيء من التفصيل ، فهو يذهب الى القول بان أبا هاشم عبد الله بن محمد بن علي بن أبي طالب أوصى الى محمد بن علي بن عبد الله ابن العباس حينما أدركته الوفاة بعد حادثة وضع السم له من قبل سليمان بن عبد الملك (٢) (ت ٩٦-٩٩ هـ) . ولم يكتف اليعقوبي بهذه القصة ، بل أضاف الى ذلك : ((إن أبا هاشم قال لمحمد بن علي : وهذه وصية أبي إلي ، وفيها إن الأمر صائر أليك والى ولدك)) . ويسترسل اليعقوبي في قصته هذه الى جوانب التنظيم الذي كان

---

(١) البلاذري ، أنساب الأشراف ،٦٦/٣ .
(٢)اليعقوبي ، تأريخ اليعقوبي ، ٤٢/٣.

يترأسه أبو هاشم قد كشف الى محمد بن علي الذي أصبح المدبر للحركة المناوئة للأمويين ويظهر ان ذلك يحدد بعام ٩٨ هـ .

إما الدينوري (ت٢٨٢هـ) فلا يشير من قريب او بعيد الى مثل تلك الوصية ، بل يكتفي بالقول : ((أن محمد بن علي اول من قام بالامر ، وبث دعاته في الأفاق)) . في حين نجد الطبري (ت٣١٠هـ) وهو من أدق وأوسع المصادر التي تناولت العصر الأموي . ففي احداث عام ١٠٠ هـ أن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس وجه من ارض الشراة دعاته الى الكوفة وخراسان وأمرهم بالدعاء إليه والى أهل بيته ، وهي رواية لا سند لها وإنما تسبق بقال أبو جعفر (الطبري) . الا أننا نجد الطبري في احداث عام ١٣٢ هـ ينقل أن علي بن محمد بن أبا هاشم خرج الى الشام فلقي محمد بن علي فقال : يا بن عم ، إن هذا الأمر يرتجيه الناس فيكم . قال قد علمت ، فلا يسمعه منك احد (٢) . وهي رواية تختلف اختلافا بينا عن تلك التي يوردها اليعقوبي حيث يظهر من خلالها وكأن البيعة قد تمت لا بسبب الحالة التي كان عليها أبو هاشم بعد تجرع السم الذي وضعه له سليمان بن عبد الملك ، وإنما رغبة أبي هاشم في ذلك لسبب او لأخر ويستوقفنا هنا قوله : ((إن هذا الأمر الذي يرتجيه الناس فيكم ، وجواب محمد بن علي : قد علمت ، فلا يسمعه منك أحد)) ، وكأن ان الأمر معروف ومتفق عليه منذ زمن طويل ، أو أنها إرادة السماء . وهي كما لا يخفى رواية واهية لا تستند إلى دليل عقلي وتقوم على غيبيات لا اساس لها من الواقع (٣) .

إما صاحب كتاب أخبار العباس فينقل روايات عديدة ومتضاربة لما حدث ، فتارة يقول ((إن أبا هاشم قدم فنزل على محمد بن علي فأشتكى فأوصى ألى محمد بن علي وكان يسمى محمد بعده الأمام)) (٤) . وأخرى يدعي في رواية ينسبها الى

---

(١) الأخبار الطوال ، ص٣٣٢-٣٣٣ .
(٢)الطبري ، تأريخ الرسل والملوك ، ٥٦٢/٦.
(٣)المصدر نفسه ،٤٢١/٧.
(٤) مؤلف مجهول ، أخبار العباس وولده ، ص١٦٧ .

محمد بن علي نفسه أنه قال : ((توفي أبو هاشم في هذا البيت ، وقال لي وقد إدنف ، ولم أكن افارقه في مرضه ، فأنما عند الله احسبني لما بي فاخرج عني من في البيت فاني أريد أن اعهد أليك ، قال ومعي داود وسليمان أبنا علي وعروة مولانا فأمرتهم بالخروج ...)) (١) . وفي رواية ثالثة (٢) يذكر : ((أن قوما من أهل خرسان كانوا يختلفون الى أبي هاشم فمرض مرضه الذي مات فيه فقال له قوم من خراسان : من تأمرنا نأتي بعدك قال : هذا ، وهو عنده ، قالوا من هذا ؟ فقال : هذا محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، فقالوا مالنا وهذا قال لا اعلم أحد اعلم منه ولا أخير منه فأختلفوا إليه)) (٣) .

إما صاحب كتاب العيون والحدائق فيذهب الى ان الوليد بن يزيد هو الذي بعث الى أبي هاشم سما في حلواء حملت أليه ((فلما أكل منها أبو هاشم أحس بالسم فتحامل الى الحميمة وبها ولد عبد الله بن العباس بنو عمه فاعلمهم إن له دعاة وعرفهم ان هذا الامر فيكم ويصل إليكم وليكن عندهم خير من الدعاء ولا يعرفون أحدا منهم)) (٤) .

وإذا أردنا إن نتبع الروايات المتعددة هذه واحدة بعد اخرى ، ونتدبر أسانيدها إضافة الى متونها فأن مظاهر الضعف تكاد تكون بارزة في بعض جوانبها . فكل من البلاذري والطبري يرويان أخبارعن واحد هو علي بن محمد المدائني البصري (١٣٥-٢٢٥هـ) فيما يتصل بالبيعة في حين لا يذكر الطبري المصدر الذي استقى منه معلوماته فيما يتصل بخبر توجيه الدعاء من قبل محمد بن علي ، كما انه أهمل ذكر البيعة في السنوات التي سبقت عام ١٠٠هـ ، وهو العام الذي شهد توجيه الدعاة ، وهذا خلاف عادته في سرد كل ما يتصل بالسنة

---

(١)اخبار العباس ، ص ١٨٦ .
(٢)يرويها عن عيسى بن علي بن عبد الله بن العباس .
(٣)إخبار العباس ، ص ١٧٣ .
(٤)المؤلف مجهول ، العيون والحدائق ، ١٨١/٣ . قوله الوليد بن يزيد ظاهر الخطأ ، إذ أن هذا تولى الخلافة عام ١٢٦ ويبدو انه أراد الوليد بن عبد الملك .

من إحداث ، بل نجد يذكرها في احداث سنة ١٣٢ هـ . وهذا يدعو الى الشك إن مثل تلك البيعة قد حدثت قبل وفاة أبي هاشم .

إما اليعقوبي والدينوري فليس لديهما ذكر للمصادر التي أستقيا أخبارهما منها ، ولاشك انهما اعتمدا على روايات كانت شائعة آنذاك روجها العباسيون في هذا المجال كوسيلة لشرعية الحكم القائم . ولابد لنا من أطالة الوقوف قليلا عند روايات صاحب كتاب إخبار العباس ، وهو كما يبدو الأساس الذي أعتمده المؤرخون في رواياتهم دونما أشارة إليه ، عن أخبار الدعوة العباسية . إذ ان الكتاب يعد من أقدم وأوسع المراجع التي تناولت الدعوة هذه ، متضمن أخبار يندر توفرها في مراجع أخرى ، بل نجد بين طياته معلومات غاية في الدقة والأهمية ، ولايخفى أن معلوماته جاءت عن طريق أناس شاركوا في الاحداث نفسها الى جانب العباسيين ، وكانوا على علم بدقائق أمورها ، ومن ثم فان أهواءهم كانت عباسية او مؤيدة لبني العباس . ويتضح ذلك من خلال الروايتين اللتين رواهما بشأن البيعة ، حيث اخذ أولاهما عن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، والثانية عن أخيه عيسى بن علي .

إن ظاهر الخلاف بين في رواياته ، فهو يذكر انه لم يكن في البيت حيث أدنف أبو هاشم سوى افراد من البيت العباسي ومواليهم ، على حين يذكر في الرواية الاخرى ان هنالك قوما من خراسان كانوا قد حضروا معه ، وهذا يناقض بعضه بعضا . إما روايته الأولى فلا يمكنها بحال من الاحوال إن تثبت إمام نقد موضوعي او تصمد إمام روايات أخرى معارضة لها . إما عدم ثبوتها إمام النقد فواضح ، إذ ليس من المعقول ان تترك شخصية كبيرة ، مسؤلة عن تنظيم سياسي خطير كأبي هاشم دونما حراسة او حماية ، أو على الأقل رفقه في هذه الرحلة الطويلة من الحجاز الى دمشق . إما عن عدم صمودها إمام روايات أخرى فدليلنا فيما نقول هو روايته الثانية التي ذكرت ان هنالك قوما من خراسان كانوا معه ، وكذلك ما يذكره صاحب كتاب العيون والحدائق ان بعضا من اهل بيته وكذلك من أهل المدينة كانوا معه (١) .

---

(١) العيون والحدائق ، ١٨١/٣.

والذي نود ان نقوله هنا ، أنه لم يكن وحيدا في الحالة التي كان عليها (١) ، وإنما كان محاطا بجمع من أهله ومؤيديه ، ومن هنا فهو لم يكن في موقف المجبر على البيعة للعباسيين بشخص محمد بن علي ، إذ الأجدر أن يبايع لأهل بيته بدلا من بني عمه ، وهذا ما تقول به بعض فرق الكيسانية حيث تذهب الى القول بأن أبا هاشم بايع الى أبن أخيه الحسن بن علي ، بينما ذهب اخرون الى أنه بايع لأخيه علي بن محمد (٢) .

أذا اردنا أن نتجاوز كل ذلك ، وأن لا نحمل النصوص فوق طاقتها وأن كنا كذلك ، فأن هنالك أمور تدفع حدوث مثل تلك البيعة للعباسيين ، ولا نسوغ مثل ذلك الاتفاق بين الرجلين ، منها أن شخصية محمد بن علي هذا لم تكن معروفة انذاك ، أو أنه كان يمثل تنظيما سياسيا واضحا ، وأن ما يقال عن استقراره بالحميمة فأنه ليس له أي صبغة سياسية خشية خطره على النظام القائم (٣) ، وإنما كانت هناك علاقات شخصية غير ودية بينه وبين سليمان بن عبد المللك حملته على الأستيطان في تلك المنطقة أن صحت رواية المسعودي في هذا الشأن (٤) . بينما تظهر رواية صاحب كتاب إخبار العباس أن العائلة برئاسة علي بن عبد الله بن العباس أتجهت صوب دمشق ، أستوطنت هناك بعد وفاة عبد الله بن العباس (ت٦٨هـ) ، وبوصية منه حين قال لأبنه علي :((الحق بأبن عمك عبد الملك فأنه أقرب وأخلق للأمارة ، ودع ابن الزبير ، فأياك وأياه فأنه لايعرف صديقه من عدوه)) (٥) . ثم أخرجه الوليد بن عبد الملك (٨٦-٩٦هـ) من دمشق الى الحميمة

---

(١) هذا أن صحت حادثة وضع السم له من قبل سليمان بن عبد الملك .
(٢) الأشعري ، مقالات الإسلاميين ، ٩٤/١ ؛ الشهرستاني ، الملل والنحل ، ١/ ١٤٨-١٤٩ .
(٣) قال الوليد بن الملك بشأن العباسيين : ما بلغنا، إن أولئك تحركوا في شيء من هذا ، ولا دبوا فيه .
(٤) مروج الذهب ،٦٤/٣.
(٥) إخبار العباس ، ص١٣١ .

بسبب حادثة قتل أرتكبها ، وقال له لا تجاورني في دمشق (١) . هذا الى جانب خطأ آخر لم ينتبه له من أنساق وراء تلك الرواية الظاهرة الفساد وهو أن محمد بن علي بويع في حياة والده علي بن عبد الله (٢) في حين يجب أن يتولاها الأخير بدلا من ابنه .

والمتتبع للنزاع القائم حول الخلافة منذ وفاة النبي وحتى نهاية العصر الأموي لا يجد حتى خيطا واهيا او أشارة واضحة او خفية الى أحقية العباس وولده أو مطالبتهم بذلك . بل على العكس من هذا فأن جميع الروايات تؤكد بيعة العباس لعلي بن أبي طالب بعد وفاة النبي . ومن ذلك قوله : ((يا أبن أخي ، هلم إلي أبايعك فلا يختلف عليك اثنان))(٣) . وكما أكدت ذلك خطب القادة العباسيين بعد نجاح الثورة ومنها خطبة داود بن علي في أحتفال تنصيب أبي العباس السفاح خليفة عام ١٣٢هـ بقوله : ((يا أهل الكوفة ، لم يقم فيكم أمام بعد رسول الله – صلى الله عليه واله وسلم – إلا علي بن أبي طالب –وهذا القائم فيكم يعني السفاح – (٤) . و نجد اولاده يخدمون تحت الأمام دون مطمح بالأمارة او طلب بالخلافة ، فكان عبد الله واليه على البصرة ومن اخلص مؤيديه ، وعبيد الله على البحرين واليمن . إما قثم فتولى أعمال الطائف ومكة (٥) .

من كل ما ذكر نريد نخلص الى القول أن ليست هنالك بيعة من العلويين ممثلة في شخص أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية الى العباسيين بشأن الزعامة السياسية للحركة المعادية للأمويين ، بل على النقيض من هذا فأن اجتماع الأبواء الذي عقد في أخريات خلافة هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ) وضم قادة المقاومة للأمويين أكد البيعة لمحمد بن عبد الله المعروف بالنفس الزكية ، كانت

---

(١) اخبار العباس ، ص١٥٠ .
(٢) توفي علي بن عبد الله بن العباس عام ١١٨هـ . اليعقوبي ، ٣/ ٦٤ ، المقدسي ، البدء والتأريخ ، ٦١/٦ .
(٣) مروج الذهب ، ٣/ ٢٥٢ .
(٤) المصدر نفسه ، ٣/ ٢٥٢ .
(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٤٠/٥ .

العائلة العباسية برئاسة ابراهيم بن محمد بن علي وأخيه أبي جعفر المنصور وعمهما صالح بن علي من اولى الجماعات التي أكدت تلك البيعة للنفس الزكية(١) .

غير أن سؤالا سرعان ما يطرح نفسه ، حيث تكلف الإجابة عليه جهدا غير قليل ، إذا كيف سارت تلك الدعوة ، وبأية قيادة استطاعت ان تزيل سيادة البيت الأموي ليحل العباسيين محلهم .

قد تبدو الأجابة على سؤال كهذا لأول وهلة سهلة ميسورة ، أو أنها لا تحتاج إلى إعمال فكر وإجهاد ذاكرة ، إلا إن الأمر ليس كما يظن ، ومرجع ذلك جملة أسباب ، منها ما هو ظاهر للعيان وأخر خفي ، وهو مرجح بين الشك واليقين . إما الظاهر منها فيتجلى في أن المؤلفات التي عالجت تلك الفترة إنما دونت تحت سلطة العباسيين وسيطرتهم ، وهم أصحاب الشأن بهذه المشكلة ، فلا عجبا إن يتحاشى المؤرخون الخوض فيها أو التحدث عنها بالشكل الذي يخالف الاتجاه السياسي للسلطة الحاكمة . وأما الخفي منها فربما كتبت هنالك إحداث خلافا لما نجده ، إلا أنها وقعت بأيدي لم يكن من مصالحها أن تذيعها بين الناس لأسباب سياسة أو شخصية أو طائفية .

يظهر أن التكتل المضاد للأمويين يشكل حركات سرية أعقبت وفاة الحسن بن علي حيث ينقل لنا صاحب كتاب الإمامة والسياسة صورة ذلك التكتل وزعامته بقوله : ((فقامت الشيعة من أهل المدينة وأهل مكة ، وأهل الكوفة واليمن وأهل البصرة وارض خراسان في ستر وكتمان فاجتمعوا إلى محمد بن علي وهو ابن الحنفية فبايعوه على طلب الخلافة أن أمكنه ذلك وعرضوا عليه قبض زكاتهم لينفقوها يوم الوثوب)) (٢) . وهكذا قام أول تنظيم علوي ثوري يعمل في الخفاء برئاسة محمد بن الحنفية لمقاومة الأمويين . وهو كما يصفه الشهرستاني ((كثير العلم ، غزير المعرفة ، وقاد الفكر ، مصيب الخاطر في العواقب)) (٣) ، وهي صفات لابد من توافرها في قادة الحركات السياسية وروادها .

---

(١) مقاتل الطالبيين ،ص١٤١ .
(٢)ابن قتيبة ، الإمامة والسياسية ، ١٢١/٢ .
(٣) الملل والنحل ، ١٤٩/١ .